ما النظم ؟

واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التى نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التى رسمت لك فلا تخل بشىء منها وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر فى وجوه كل باب وفروقه ... هذا هو السبيل فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً وخطأه إن كان خطأ إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معانى النحو قد أصيب به موضعه ووضع فى حقه، وأو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه واستعمل فى غير ما ينبغى له فلا.ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا رأيت مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل، إلى معانى النحو وأحكامه ووجدته يدخل فى أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه.

مزايا النظم بحسب المعانى والأغراض ولا غاية لها تقف عندها

وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معانى النحو وعلى الوجوه والفروق التى من شأنها أن تكون فيه فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تحد لها ازدياد بعدها ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها فى أنفسها ومن حيث هى على الإطلاق ولكن تعرض بسبب المعانى والأغراض التى يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض، تفسير هذا أنه ليس إذا راقك التنكير فى «سؤدد» من قوله «تنقل فى خلقى سؤدد» وفى «دهر» من قوله «فلو أذنبا دهراً» فإنه يجب أن يروقك أبداً وفى كل شىء ... وإنما سبيل هذه المعانى سبيل الأصباغ التى تعمل منها الصور والنقوش فكلما ترى الرجل تبدى فى الأصباغ التى عمل منها الصورة والنقش فى ثوبه الذى نسج إلى ضرب من التخير والتدبر فى أنفس الأصباغ وفى مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه إياها إلى ما لم يتهد إليه صاحبه فجاء نقشه من أجل ذلك المعجب، وصورته أغرب، كذلك حال الشاعر فى توخيهما معانى النحو، ووجوهه التى علمت أنها محصول النظم .

المنزع النفسانى فى البحث الجمالى، التأمل الباطنى :

وقول الأقيشر فى ابن عم له موسر سأله فمنعه وقال : كم أعطيك مالى